

تعليقات

تجنيد النساء وخطابات داعش المختلفة

سمية فطاني

أكتوبر ٢٠١٦م

يهدف هذا التقرير إلى التحقق من التفاوت اللغوي في الاستراتيجيات التواصلية التي يستخدمها تنظيم داعش الإرهابي، من خلال منصات الإعلامية، في محاولة لجذب وتجنيد النساء ذوات الخلفيات الاجتماعية والجغرافية المتنوعة، فبينما تستخدم النصوص العربية خطاباً ذا توجه ديني، فإن النصوص الإنجليزية والفرنكوفونية^(١) تميل إلى استخدام خطاب يؤكد على الاحتواء والتكافل الاجتماعي كأداة لجذب السيدات في أوروبا وأمريكا الشمالية (أي النساء الغربيات) للانضمام إلى ذلك التنظيم. ويشير التقرير إلى آلية (التهيئة) كإحدى استراتيجيات التجنيد التي يتبعها تنظيم داعش، والتي تأخذ في الاعتبار أهمية تنوع الدوافع لدى أنصاره.

وفي ظل تكيفهم مع هذا الواقع، قام مسؤولو الدعاية في داعش بتناول عدة موضوعات من خلال رسائلهم، يمكن لها أن تحقق أقصى نسبة وصول وديمومة لدى قطاعات سكانية مختلفة من أنصار التنظيم الفاعلين.

ويشير مفهوم (التهيئة) في هذا السياق إلى الموضوعات المختلفة التي يقدم مسؤولو الدعاية في داعش -من خلالها- الكيان وتعديل خطاباته الاستراتيجية؛ حتى يتسنى لهم التوفيق بين دوافع أنصاره المختلفة؛ وبالتالي تتنوع أوجه التأكيد لتتراوح بين الميل نحو الشرعية الدينية (مثل داعش كنموذج للخلافة الإسلامية)، إلى التأكيد على فكرة المقاومة من جهة كونها وريثاً للحركات الثورية في العصور الماضية. ولقد برهن تنظيم داعش من خلال ذلك على قدرته على خلق استراتيجية للتواصل عابرة للأيديولوجيات والقوميات والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. ويمكن تحقيق تلك الاستراتيجية من خلال الاعتراف بمدى تأثير التفاوت اللغوي وقدرته على تناول القضايا المختلفة من خلال تغذية وتأجيج المظالم المختلفة وجذب الجماعات المختلفة كلّ بلغته الخاصة. ومن ضمن الأنماط السائدة في بيانات التأييد التي تطلقها النساء المنتميات إلى تنظيم داعش خطابات تمكين المرأة، وإن كانت في سياقات مختلفة، التي يستغلها مسؤولو الدعاية في داعش لجذب النساء من خلفيات اجتماعية متفاوتة؛ إذ يستخدمون اللغة أداة للتأطير أثناء محاوراتهم مع مَنْ يرغبون في تجنيدهن من النساء، ووسيلة لإنشاء وتعريف التمكين بسبل مختلفة تتناول كل القضايا المتعلقة بالمرأة على اختلاف جنسيتها. ويحلل هذا التقرير فكرة التمكين هذه في شكلين: أولاً تحليل تشكيل التمكين من خلال إحياء النصوص الدينية المكتوبة باللغة العربية، وثانياً تحليل تشكيل التمكين من خلال الدمج المجتمعي والتمكين على أوسع نطاق عبر النصوص المكتوبة باللغة الإنجليزية، حيث وُجد بناء مماثل فيما يتعلق بالإدماج المجتمعي في النصوص الفرنكوفونية والألمانية أيضاً.

(1) Erelle, Anna. (2015) "Skyping with the enemy: I went undercover as a jihadi girlfriend." *The Guardian*. 26 May 2015.

وكأحد الأهداف الطويلة المدى، يتضح أن التمكين يتم إدراكه والتعبير عنه بشكل مختلف في كلا الخطابين؛ ما يجعلنا نستخلص أنه جزء من سياق أكبر لأداة التأطير التي يستخدمها القائمون على عمليات التجنيد في داعش. ودائماً ما يشير مصطلح التمكين إلى المساواة بين الجنسين والشاركة في المشروعات الخاصة ببناء الأمة والمقاومة. كما تم تقديم فكرة التمكين في إطار المقاومة بشكل مختلف فيما يتعلق بتجنيد النساء في داعش؛ إذ جاءت المقاومة في هذا السياق لتشير إلى مقاومة العولمة؛ لما تمثله من خطر على الهوية الإسلامية الأصيلة ومقاومة الاستعمار وبقايا الفكر الاستعماري ومقاومة الإقصاء المجتمعي، وكذلك مقاومة السلطة الذكورية (الثقافية). كما يتم تقديم المخاوف بين الجماهير الناطقة بالعربية والإنجليزية كأوجه قصور لمرادفات مفهوم التمكين الذي قد يكون مستنداً إلى نوع الجنس.

الخطاب المكتوب باللغة العربية

لم يُقَمَّ تنظيم داعش بترجمة "نساء الدولة الإسلامية: بيان ودراسة حالة"، المنشور في (كتيبة الخنساء)، الصادر باللغة العربية في بداية عام ٢٠١٥م، إلى اللغة الإنجليزية بشكل رسمي على الرغم من قدرته الواضحة على فعل ذلك، مما يشير إلى احتمال وجود خطاب دولي غير متسق بلغات مختلفة يُستخدم لجذب جماهير مختلفة من داخل المجتمعات الناطقة بهذه اللغات (في هذه الحالة فإن الخطاب يصبح مقتصرًا على النساء في الوطن العربي اللواتي يعرفن القراءة والكتابة ويستطعن الدخول إلى الإنترنت). ولعل مسؤولي الدعاية في داعش يرون أن هذه الترجمة قد تؤدي إلى نتيجة عكسية، وتحدّ من استراتيجيات داعش في حال تداول ترجمة معتمدة لهذا الدليل بأي من اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية على الإنترنت لجذب المزيد من النساء الغربيات. ويحمل أحد فصول هذا الدليل عنوان "فشل النموذج الغربي الخاص بالمرأة"، تضمن وصف: كيف خيبت المشروعات التحريرية آمال النساء؟ وذلك من خلال تسليط الضوء على الأخطاء الموجودة في كل من: النموذج الغربي تجاه المرأة، والثقافة الغربية. وقد تكون هذه الادعاءات مهينة بالنسبة لمن يتم تجنيدهن من النساء الغربيات اللاتي يأتي ارتباطهن بتنظيم داعش في الأساس تحت مظلة إسلامية (أي أنهن اعتنقن الإسلام حديثاً). ودائماً ما يركّز داعش في المادة الدعائية المستخدمة لتجنيد الجمهور المُتحدث باللغة العربية على الادعاء بأن الدول الإسلامية في العالم العربي لا تُطبق الإسلام كما يجب. وتوصف تلك التطبيقات، التي من المفترض أنها غير صحيحة، بأنها نتيجة مباشرة أو ضمنية للاستعمار، أو سيادة السلطة الذكورية من خلال التقاليد الثقافية (العُرف) القائمة على مبدأ المساواة بين الجنسين الذي نصّ عليه الإسلام، والذي يقوم داعش حالياً بالدفاع عنه. كما تصف المادة الدعائية لتنظيم داعش المكتوبة باللغة العربية المجتمع المثالي الذي يسعون لتأسيسه في ظل إحياء الدين ونصرته، كما يتم التركيز أيضاً على فكرة الجهل بالدين وما يترتب عليه من تطبيق فاسد للإسلام عقدياً أو عملياً في العالمين العربي والإسلامي. ولقد جعلت مثل هذه الوعود داعش بمثابة الحل في مواجهة التدهور الديني، سواء في السياقات الثقافية أو السياسية في العالم الحديث الذي تسوده العولمة. كما أنها تعد أيضاً بإعادة إرساء العدالة والسلام بنجاح من خلال هزيمة قوى الشر والزنادقة وإحياء ما فُقد من العقيدة الصحيحة.

ومن المثير للاهتمام أيضاً الخطاب الذي استخدم مفهوم (الانتماء) لمخاطبة النساء المتعلّقات في المجتمعات الناطقة بالعربية للتأكيد على النماذج البطولية الشهيرة للسيدات في الحقبة النبوية (أي مخاطبة من يسعون إلى تجنيدهن بألقاب مثل: نسل أم عمارة أو حفيدات خديجة). ويلعب تمثيل سير أم عمارة والسيدة الخديجة دوراً مهماً في الروايات التاريخية الإسلامية التي دائماً ما صورتهم كبطلات يتسمن بالشجاعة في زمنهن تحدين الأعراف الاجتماعية والثقافية لنصرة العقيدة، ومن خلال الإشارة إلى الصلة بين بطلات الحقبة النبوية والرموز النسائية للتقوى والشجاعة، يسعى مسؤولو التجنيد بتنظيم داعش إلى التأثير في النساء، حيث يدّعون أنهن «حفيدات وبطلات الحقبة النبوية من الناحية

الثقافية والعقائدية وليس من الناحية الوراثية»، مؤكدين بذلك على تضال الانتماء للإسلام والالتزام تجاهه. وذلك بخلاف الخطابات المكتوبة باللغة الإنجليزية حيث يتم تقديم مفهوم (الانتماء) على أنه مسؤولية وليس تفضلاً. فمفهوم (الانتماء) باللغة الإنجليزية يشير إلى تقديم الخلافة الحالية على أنها الحل العالمي والشائع لمشكلات عدم الانتماء التي يواجهها أنصار داعش من النساء في الغرب.

الخطاب المكتوب باللغة الإنجليزية

يمكن القول إن الكثير من المجتمعات النسائية المسلمة في أوروبا وأمريكا الشمالية تعاني من العزلة والإقصاء الاجتماعي، حيث إن اندماجهن في هذه المجتمعات يُعد سطحياً ومُجرداً؛ فعلى خلاف أقرانهن من الذكور تلتزم النساء المسلمات في الغرب بأمور يومية تتعلق بقواعد اللباس التي تمثل قيماً إسلامية، تميزهن عن أقرانهن من المواطنات اللاتي ينتمين إلى عقائد وأيديولوجيات مختلفة. كما أن الإسقاط على حالة الرُّهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، ليس بوصفه أيديولوجية فحسب، لكن بوصفه شكلاً من أشكال الخوف المجتمعي، يدعم التحديات التي تواجه اللحمة الاجتماعية والمواطنة في بلدانهن. وبمجرد تحديد تلك المخاوف يتم استغلالهن في عمليات التجنيد التي يقوم بها داعش، التي تستخدم الأفراد الذين تم إقصاؤهم اجتماعياً في أوروبا وأمريكا الشمالية، وخاصة النساء والشباب.

ويسعى مسؤولو التجنيد بتنظيم داعش إلى جذب هؤلاء النساء من خلال تقديم حل استيعابي لما لديهن من أزمات هوية ومخاوف اجتماعية. وفي هذا السياق، يُعد المجتمع المثالي هو ذلك المجتمع الذي يشمل الجميع على اختلافهم تحت مظلة الحكم الإسلامي الذي يتسم بالعدالة وقبول الآخر، حيث يتم وعد أولئك النساء، من خلال الخطاب المكتوب باللغة الإنجليزية، بالاندماج في أخوية نسائية مُحكمة التماسك في ظل داعش. كما يتم أيضاً استخدام عنصر رومانسي/ عاطفي واضح في الخطابات المُستخدمة لجذب النساء في أوروبا، فنجد مثلاً أبا بلال (أحد مسؤولي التجنيد بتنظيم داعش من الفرنسيين) يسأل إحداهن: «ما رأيك في المجاهدين؟» ويختم حوارهما قائلاً: «سوف أعنتي بك». (ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن الفئة العمرية للسيدات التي تستهدفها داعش عادة ما تكون أصغر سناً حيث تشمل المراهقات أو الفتيات في أوائل العشرينات).

ومن ثم يمكن القول: إن الخطابات المكتوبة باللغة الإنجليزية انتقائية ويتم تنقيحها بشكل يتيح استخدامها لجذب الجمهور المُستهدف ومخاطبة مخاوفه. فلم يكتف أبو بلال بأنه ستنتم معاملة (أنا أريـل كملكة متوجة) عند انضمامها للمؤسسة، ولكنه أكد أيضاً على الشمولية حيث أجابها بـ«أنك ستكونين ذات أهمية» عندما أعربت عن عدم تيقنهما من رغبتها في الانضمام لهم. إن استخدام هذا العنصر العاطفي في عمليات التجنيد التي يقوم بها داعش يصب في تقوية خطابات التمكين من خلال إظهار أن من يتم تجنيدهن من الغرب سيصبحن على قدر من الأهمية والقيمة في تلك المنظمة التي تتصف أساساً بسمات ذكورية شديدة النمطية؛ أي أنها قوية وصلبة ودفاعية وحامية. ويُعد الاعتراف بقيمة النساء وأهميتهن في مثل هذا المجتمع الذكوري، المُتمثل في أبي بلال، علامة على المداينة واستراتيجية التواصل الداعمة للنساء اللاتي يرى مسؤولو التجنيد بتنظيم داعش أنهن لم يدركن أهميتهن بعدُ ومن ثم فهن مهمشات.

الخاتمة

مما سبق يتبين أنه يتم اجتذاب النساء من خلال الصيغة التي تركز على المخاوف التي يواجهنها، فيتم تقديم الشمولية الاجتماعية و(مصادقية) الإيمان وتأطيرها كموضوعات تخص النساء، ما يجعل تسييس اللغة المستخدمة لمناشدة النساء في الغرب وفي العالم العربي أمراً غير مفاجئ. وكذلك فإن اختلاف أنواع الخطاب يُعد دليلاً على ما يستثمره داعش لتجنيد العناصر النسائية، الأمر الذي يلقي بدوره الضوء على إدراك داعش أهمية الدور الذي تلعبه المرأة في مؤسستهم، حيث إنها تمر بمرحلة أساسية في بناء الأمة. وينبع هذا الإدراك بشكل رئيسي من الحاجة إلى إيجاد تعداد سكاني في المستقبل للأقاليم التابعة لتنظيم داعش التي مزقت الحرب أوصالها، وكذلك الإبقاء على عملية غسيل الذهن الفكري من خلال مفهوم الأمومة.

وأخيراً، فإن هذا التحليل يدعو إلى مزيد من الدراسة والتحقق حول واقعية الادعاء القائل بأن هناك اختلافات لغوية ذات أهداف استراتيجية بين مسؤولي الدعاية بتنظيم داعش، من خلال دراسة نصوص مختلفة استهدفت التجنيد، على أن يتم ذلك من خلال منهجيات بحثية مثل تحليل الخطاب. وما لا شك فيه أن مسؤولي الدعاية يقومون بملاءمة احتياجات الجمهور الذي يستهدفونه؛ حتى يتسنى لهم مناشدته بشكل أفضل. إلا أن هذا التحليل يقترح إجراء المزيد من البحث حول هذا الموضوع المُعقد الذي لم يلق قدرًا كافيًا من الدراسة بعد.